الفصل الخامس

التحرر الحقيقي والتحرر المزيف

- دعوات مشبوهة
- ورموز مشبوهة

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

فرق كبير بين التحرر الحقيقي للمرأة والتحرر المزيف لها، التحرر الحقيقي للمرأة العربية والمسلمة هو تسليحها بالوعي بحقوقها الضخمة في الإسلام ودفعها لممارسة دورها الطبيعي الذي فرضه عليها الإسلام أو أتاحه لها، أما التحرر المزيف فهذا الذي يدعوها إلى الانسلاخ عن دينها وثقافتها والاندماج في ثقافة الغرب.

التحرر الحقيقي للمرأة ورموزه

والتحرر الحقيقي للمرأة هو جهادها وقتلها في سبيل الله دفاعًا عن دينها ووطنها ونضالها السياسي ضد الاستبداد وتحملها مسئوليات الدعوة إلى الله أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو طلب العلم وتحريضها أبناءها وزوجها وإخوتها على حمل أمانة الجهاد والتحدي الحضاري ومشاركتهم في ذلك، أما التحرر المزيف فهو دعوتها إلى مهادنة الاستعمار أو القبول به وبتقاليده وقيمه وأفكاره وسلوكه.

والتحرر الحقيقي هو تمسك المرأة بهويتها الإسلامية فكرًا وسلوكًا وتمسكها بهدى الإسلام الأخلاقي، أما التحرر المزيف فهو جريانها وراء أزياء الغرب والإباحية والشذوذ والتحلل الأخلاقي.

وعندما يدعو الإمام الشهيد حسن البنا في «رسالة التعاليم»[1] المرأة المسلمة ألا تأكل ولا تلبس إلا من صنع وطنها، فهذا هو التحرر الحقيقي؛ لأن هذا نوع من المقاطعة الاقتصادية للاستعمار وقطع خيوط التبعية معه، أما هؤلاء الذين يدعون المرأة إلى الجري وراء الموضة وأحدث الأزياء فهم يدعونها إلى الخضوع الاقتصادي

(١) الإمام الشهيد حسن البنا – رسالة التعاليم، وقد جاء فيها في هذا الصدد «على المرأة المسلمة أن تخدم الأمة الإسلامية بتشجيع المنتجات الإسلامية، وأن تحرص على القرش فلا يقع في أيد غير إسلامية، فلا تأكل ولا تلبس إلا من صنع وطنها الإسلامي».

والثقافي للغرب، بل ويروجون لسلع الغرب ويحققون أقصى ما يطمع فيه الغرب وهي التبعية الاقتصادية.

إن المرأة المسلمة حين تلتزم بالزي الإسلامي والآداب الإسلامية في اللبس والزينة فإنها في حقيقة الأمر تطيع الله أولاً ثم هي تحقق استقلالاً اقتصاديًا لبلدها وتقطع خيوط التبعية الاقتصادية للغرب، فليس جديدًا أن نعرف أن بيوت الأزياء ومصانع الغرب تكسب كثيرًا جدًا من ترويج بضاعتها من ملابس وأدوات زينة وغيرها في بلادنا.

التحرر الحقيقي هو الذي مارسته النساء اللاتي قاومن الحملة الفرنسية في مختلف الأماكن وكذا حملة فريزر والحملة الإنجليزية الثانية سنة ١٨٨٢، ثم قتالهن ضد الاستعمار الإنجليزي ثم ضد الاستبداد السياسي، هذا التحرر الحقيقي هو ما عرفته المرأة التي أطلقت النار على نابليون أو شاركت الرجال في قتال الفرنسيين أو التي تبرعت للمجهود الحربي للجيش المصري سنة ١٨٨٢ أو هؤلاء اللاتي سقطن شهداء في الإسكندرية سنة ١٨٨٢ أو في حادثة دنشواي، أو أثناء ثورة ١٩١٩ أو من تصدين للاستبداد الناصري، والتحرر المزيف هن النسوة اللاتي ارتبطن بجنود الاحتلال الفرنسي أو الإنجليزي أو عقدن الصفقات مع مؤسسات المال الأمريكية لتمويل مؤتمراتهن المشبوهة.

رموز التحرر الحقيقي هُنَّ المرأة التي أطلقت النار على نابليون في الإسكندرية سنة ١٧٩٨، أو اللائي قاتلن الفرنسيين في الوجه البحري والقبلي، أو هؤلاء اللائي أعدمن بتهمة الاشتراك في ثورة القاهرة الأولى أو هؤلاء اللاتي شاركن في ثورة القاهرة الثانية، أو هؤلاء اللاتي استشهدن في طوابي الإسكندرية سنة ١٨٨٢ أو داخل المدينة، أو هؤلاء اللاتي تبرعن بالمال وغيره للمجهود الحربي المصري سنة

١٨٨٢، أو اللاتي نظمن المظاهرات في ثورة ١٩١٩، واللاتي سقطن فيها شهيدات، أو هؤلاء اللاتي تصدين للاستبداد الناصري مثل زينب الغزالي، وحميدة قطب. والسيدة أم أسامة زوجة المستشار حسن الهضيبي، أو اللائي وقفن بجانب أبنائهن عقب حادثة المنصة سنة ١٩٨١ مثل أم خالد الإسلامبولي.

أما رموز التحرر المزيف فهن اللاتي دُرْنَ مع جنود الاحتلال الفرنسي ١٧٩٨ – ١٨٠١ مثل هوى وشوق أو اللاتي أخذن التمويل من مؤسسات فورد كونديشن وغيرها مثل نوال السعداوي.

دعاة التحرر الحقيقي أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد وحسن البنا وعبد الحليم أبو شقة وصافيناز كاظم، ودعاة التحرر المزيف أمثال قاسم أمين ولويس عوض وأمينة السعيد ونوال السعداوي.

***

فمصطفى كامل حين يتصدى لقاسم أمين ويرد على ما يروجه بشأن الدعوة إلى الانحلال وتقليد سلوك الغرب بالنسبة إلى المرأة، وحين يكشف حقيقة تلك الدعاوى المريبة فإنه هنا كان يدافع عن التحرر الحقيقي للمرأة؛ لأنه كان يدعوها في الوقت نفسه للنضال ضد الاحتلال، ورفض ثقافة هذا الاحتلال وعدم تقليده في العادات والسلوك بل التمسك بالعادات الإسلامية الوطنية والسلوك الإسلامي الوطني والزي الإسلامي الوطني[1].

ومحمد فريد كان من دعاة التحرر الحقيقي للمرأة حينما بذل جهوده في فتح المدارس والمعاهد للبنين والبنات على السواء، وعندما دعا لجعل تعليم البنات إلزاميًا في المرحلة الابتدائية وفي نفس الوقت حرص على دعوة المرأة إلى النضال ضد

(١) الرافعي – مصطفى كامل – دار المعارف.

الاحتلال والتمسك بالثقافة الإسلامية الوطنية ورفض الثقافة الاستعمارية[١].

والإمام الشهيد حسن البنا كان من دعاة التحرر الحقيقي للمرأة حين طالبها بطلب العلم والتزود منه، وحين طالبها بأداء دورها في الدعوة إلى الله أو النضال ضد الاستعمار وحين طالبها بالعمل على التمسك بالعادات الإسلامية ونبذ العادات الغربية الاستعمارية، وحين طالبها بمقاطعة منتجات الاحتلال وألا تأكل أو تلبس إلا من صنع يديها، بل قام بعمل خاص بالأخوات المسلمات كانت المرأة المسلمة تمارس من خلاله نشاطها السياسي والاجتماعي والخيري، وقام بإنشاء العديد من المدارس «مدارس أمهات المسلمين» في أكثر من مدينة مصرية، وقد بدأت هذه المدارس بمدرسة أمهات المسلمين بالإسماعيلية، وكان لقسم الأخوات المسلمات دور هام في أثناء عمليات الاعتقال والسجون التي لحقت بالحركة في عهد عبد الناصر حيث قامت الأخوات المسلمات بزيارة أسر المسجونين وتقديم الرعاية لهم، وكذلك إعداد الطعام والملابس للإخوان المسلمين بالسجون[٢].

وكان لقسم الأخوات المسلمات دور هام في النضال السياسي ضد الاحتلال الإنجليزي، ففي مجلة الإخوان المسلمين الصادرة في ٥ مارس ١٩٤٦ نشرت المجلة برقية أرسلها قسم الأخوات المسلمات إلى المندوب السامي البريطاني بالقاهرة تحتج فيه الأخوات المسلمات على اعتداء جنود الجيش البريطاني المحتل على المصريين الآمنين[٣].

(١) الرافعي – محمد فريد – دار المعارف.

(٢) محمود محمد الجوهري – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية- دار الوفاء – ١٩٨٩ – المنصورة.

(٣) نقلاً عن محمود محمد الجوهري – مرجع سابق.

أما الأستاذ عبد الحليم أبو شقة وهو من الإخوان المسلمين، ودخل السجن لفترات طويلة جدًا بسبب الانتماء إلى الإخوان، فقد بذل جهدًا فكريًا ضخمًا لإصدار موسوعة عن تحرير المرأة في عصر الرسالة وأثبت فيه حقوق المرأة من خلال القرآن والسنة، وبذلك يكون من دعاة التحرر الحقيقي للمرأة، بل وقدم برنامجًا هامًا عن المعالم الشرعية لنشاط المرأة السياسي في عصرنا جاء فيه «المرأة المسلمة – مثل الرجل – مدعوة إلى الاهتمام بشئون السياسة في مجتمعها، وكذلك مدعوة للإسهام في حدود ظروفها وقدر طاقتها في إنهاض المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل النصيحة أي بتدعيم الإيجابيات ومقاومة الانحرافات وهذا نوع من الجهاد المأجور لتحقيق رشد السلطة وعدلها.

- النشاط السياسي يكون فرضًا أحيانًا، وعلى المرأة المسلمة أن تقوم بما يعد من فروض الكفاية على النساء في هذا المجال، ومن هذه الفروض:

(أ) كل عمل يجب أداؤه لتأمين رشد السلطة وعدلها واحتيج منه إلى جهد النساء مع الرجال لكي يتم على الوجه الصحيح، ومثال ذلك مشاركة النساء في انتخاب العناصر الصالحة بالمجالس التشريعية والمحلية والنقابية، وكذلك المشاركة في التصويت على الاستفتاءات التي تعرض على الرأي العام فتعين بذلك على إقرار معروف أو إبطال منكر.

(ب) الانضمام إلى الأحزاب والقوى السياسية المخلصة التي تريد الخير للأمة وتسعى إلى ترشيد السلطة وتعمل على الإصلاح الشامل القائم على مبادئ الإسلام من ناحية، والمستوعب للتجارب البشرية وعلوم العصر من ناحية، وذلك لتدعيم نشاط تلك القوى والأحزاب في مواجهة القوى التي تعادي الإسلام، والأحزاب النفعية الانتهازية التي يدعم نشاطها أعداد كبيرة من الرجال والنساء ويكسبونها

السطوة والغلبة.

(ج) نشر الوعي السياسي بين الناس وخاصة في بعض المواسم مثل موسم الانتخابات، وذلك إذا اقتضى الأمر ذهاب القائمات على نشر الوعي إلى البيوت ومخاطبة النساء عن قرب وإجراء حوار معهن.

(د) الإشراف على تنفيذ وتنظيم عملية الانتخاب لتحقيق صدقها ونزاهتها.

***

• ينبغي أن يكون ضمن أهداف تعليم بنات المسلمين تزويدهن بالمعلومات الأساسية عن أحوال المجتمع السياسية مع تنمية اهتمامهن بشئونه، هذا مع توعيتهن بالدور الواجب عليهن في المجال السياسي، ومن ذلك:

(أ) المشاركة في التعبير عن الرأي في القضايا العامة سواء بالكتابة أو التظاهر أو المشاركة في الأحزاب أو بأية وسيلة وقائية.

(ب) ممارسة واجب النصيحة وحق التأييد والاعتراض.

(ج) تدعيم الحزب أو التيار السياسي الذي تكون مبادئه أقرب لتحقيق الخير للمجتمع.

(د) اختيار المرشح القادر على حمل أمانة النيابة عن الأمة، أي ممارسة حق انتخاب أصلح المرشحين.

(هـ) قبول الترشيح للمجالس النيابية عند القدرة على تمثيل الأمة[1].

• تندب المرأة للبذل من مالها ثم من مال أسرتها بالمعروف في النشاط السياسي

(١) وقد ناقش الأستاذ عبد الحليم أبو شقة الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وكافة مصادر التشريع المعتمدة وخلص إلى حق المرأة في الانتخاب وحقها في الترشيح.

الواجب والمندوب، ويندب الرجل لمعاونة زوجته في شئون البيت إذا غلبها النشاط السياسي المندوب وتجب عليه المعاونة إذا كان نشاطها السياسي واجبًا.

- المجتمع المسلم متضامن في تهيئة الأسباب التي تعين المرأة على الوفاء بمسؤولياتها السياسية إزاء مجتمعها بجانب مسؤوليتها إزاء أسرتها.
- الحكومة المسلمة مسئولة عن توجيه المرأة وتشجيعها على المشاركة في النشاط السياسي.
- أن يكون كل ذلك في إطار آداب المشاركة الإسلامية[١].

وفي الحقيقة فإن دعوة التحرر الحقيقي للمرأة كان هدفًا ثابتًا لكل المقاومة الإسلامية في مصر وخارجها، فحركة المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي شهدت مشاركة نسائية واسعة بل إن إحدى النساء قادت إحدى الثورات المسلحة في بداية الاحتلال وهي لا لا فاطمة[٢]، وسجلت أحداث ثورة الجزائر، والشهيدة أم محمد وفضيلة سعدان وغيرهن[٣].

وفي إطار نضال الجبهة الإسلامية للإنقاذ ضد الفساد والتغريب والاستبداد كانت المرأة الجزائرية تقوم بالمظاهرات والإضرابات وتشارك في الانتخابات لدعم الجبهة الإسلامية للإنقاذ[٤].

ويرى الدكتور عباس مدني زعيم الجبهة الإسلامية للإنقاذ أن المرأة الجزائرية شريك في النهضة الإسلامية، وأن المرأة الجزائرية تتمتع بثقافة ممتازة وستشارك في

(١) وكل شيء وليس مشاركة المرأة فقط - ينبغي أن يكون في إطار الآداب الإسلامية العامة.
(٢) بسام العسيلي – المجاهدة الجزائرية – دار النفائس بيروت – ١٩٨٤.
(٣) نفس المرجع السابق.
(٤) د. محمد مورو – الجزائر تعود إلى محمد – المختار الإسلامي – ١٩٩٢ – القاهرة.

العمل السياسي الإسلامي بكل فاعلية، وستناضل المرأة المسلمة معنا سافرة أو متحجبة، صغيرة أو كبيرة[1].

ويقول الأستاذ محفوظ نحناح رئيس حركة حماس الإسلامية في الجزائر : «إن المرأة عنصر كالرجل تمامًا سواء فهي شريكته من حيث الخلقة وشريكته من حيث التكليف، وشريكته من حيث وحدة المصير، ونظرتنا إلى المرأة هي كما أمر الله المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر».

ولا يمكن أن يأمر الرجل بالمعروف وينهي عن المنكر في غياب المرأة فلا بد أن يكونا مشتركين معًا في القضاء على المنكر، وعندي أن أعظم المنكر هو الاستبداد السياسي، ومن هنا فإن المفهوم الذي يريد أن يحجر على المرأة ينتفي انتفاء كاملاً مع النص الشرعي ومقاصده، فنحن نقول : إن المرأة مكرمة كالرجل، وأن للمرأة دورًا لا يقل أهمية عن دور الرجل في أعظم مسألة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا بد أن يكون هناك اشتراك.

هذا الاشتراك قد يكون في حزب أو جمعية أو برلمان أو مظاهرة أو أحزاب أو إنتاج أو استهلاك أو تربية أو اتخاذ موقف حازم، والرسول ﷺ كان يساعد أهله، كان يكنس بيته ويخصف نعله ويطهو مع زوجته ويداعب نساءه فلماذا لا يكون الرجل على هذا المستوى من التأسي للرسول ﷺ، ولكن نحن تأثرنا في نظرتنا إلى المرأة بنظرة عصر الانحطاط في الأمة الإسلامية، ولكن الإسلام جاء ليرفع شأن المرأة إلى أعلى مكانة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ...﴾ إلى آخر الآية الكريمة من سورة الأحزاب آية ٣٥.

(١) من المؤتمر الصحفي الذي عقده الدكتور عباس مدني في قاعة إفريقيا بالجزائر العاصمة بتاريخ ١٢ يونيو ١٩٩٠.

عشر صفات وصف الله بها الذكر والأنثى يجعلها في قمة الولاء لله تعالى والعمل من أجل التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي في الأمة، من خلال المنطلقات القرآنية ومن خلال المواقف التي اتخذتها المرأة في العصور الإسلامية الزاهرة وأيام الجهاد، إن المرأة والرجل على قدم المساواة جهادًا وعملاً وتربية وتوجيهًا وصياغة حضارية وتشكيل عقلية تتسم بالشمول والتكامل والاعتدال والاتزان»[1].

وجاء في برنامج الجبهة الإسلامية للإنقاذ: «نظرًا للسمعة التي اكتسبتها المرأة في عهد الرسول ﷺ وبما توصلت إليه في نماذج أمهات المؤمنين ومنها عائشة رضي الله عنها بعلمها حتى كانت راوية لأكثر من ألفي حديث – ومشاركتهن مع الرسول ﷺ في غزواته وموقف أم سلمة بالحديبية – مما يدل على وعيها السياسي وفي عصور النهضة العلمية والفكرية ومشاركتها بعبقرية النابغات في الفكر والأدب والفقه والسياسة والطب، وفي عهود كثيرة كانت استماتتهن في المواقف في المغرب والأندلس وفي عهد احتلال الجزائر وثورة نوفمبر التي برزت فيها مجاهدات مؤمنات أحيت أمجاد المرأة المسلمة، فإن مهمتها في هذه المرحلة، وقد أصبحت تمثل أكثر من ثلثي الطلبة الجامعيين وتلامذة الثانوي، فإن الجبهة الإسلامية للإنقاذ تعتبر هذه الطاقة من العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية الجديرة بالاهتمام قصدت توجيهها بحكمة وتوظيفها برشد في الخطة الإنمائية الحضارية الشاملة، وذلك بتخصيص المرأة بالعناية ورفع مستواها العقائدي وجودة تكوينها المسلكي، رفع مستوى وعيها السياسي والتربوي والحضاري، إعادة الاعتبار إلى مكانتها الإسلامية بحفظها من التعسف والانحلال وآفة التقليد الأعمى، توعية المجتمع كي يدرك أهمية طاقتها وعظيم رسالتها، من أجل ذلك كان الإسلام وما يزال الدين الذي لم

(١) عبد الله رزاقي – الأحزاب السياسية في الجزائر خلفيات وحقائق – الجزء الأول.

يميز المرأة عن أخيها الرجل بكل ما كرم به الإنسان وشرفه لقوله عليه الصلاة والسلام : «**النساء شقائق الرجال**» وقوله : «**استوصوا بالنساء خيرًا**»[1].

***

ومن دعاة التحرر الحقيقي للمرأة الحركة الإسلامية في السودان، تلك الحركة التي استطاعت أن تقدم النموذج والقدوة في مشاركة المرأة السياسية والاجتماعية في نضال الجبهة القومية الإسلامية في السودان واضطلاعها بدور هام في العمل النقابي والسياسي والحزبي عمومًا، وقد نشأت الجبهة الإسلامية النسوية سنة ١٩٦ ثم ما لبثت أن تقدمت المرأة بكثافة في كافة أنشطة الجبهة الإسلامية والمجتمع السوداني.

يقول الدكتور حسن الترابي : «أصبح خطاب الحركة الإسلامية تبشيريًا تحريريًا في مغزاه، ودعا هذا الخطاب وأدى إلى تحرير النساء من أسر العرف التقليدي الظالم، وأن يستعين بقوة التدين لتعزيز تحرير المرأة، ومن وراء التحرير جاء خطاب الحركة ليلهم المرأة روحًا رسالية في الحياة، بأن تجد المرأة مغزى لحياتها ودورًا يرضي ذاتها ويشفي تطلعاتها من حيث هي إنسان لا يكتمل وجوده إلا باحتمال أمانة وأداء رسالة الوفاء بالواجب بعد استيفاء الحق، وكانت هذه الرسالة أن تجاهد المرأة مع أخيها الرجل لإحياء الدين وتحرير المجتمع وأن تهب نفسها لطلب المثل العليا وابتغاء وجه الله، ولو جمدت الحركة في مرحلة الفقه الاعتذاري – إن الإسلام لم يظلم المرأة – وراحت تدرأ الشبهات التاريخية والفقهية وتتولى الدفاع، لتأخر تحرر المرأة ولو أنها اقتصرت على الفقه الناقد للتقاليد لما بلغت بحركة المرأة الاجتماعية ما بلغت، ولما دخلت النساء في الحركة أفواجًا وانفعلن واشتغلن بقضاياه بأقدار ثورية تاريخية، ولما مرقن من ذل التبعية للرجال ولو في الضلال ولما خلصن من قيود

(١) من برنامج الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

الأعراف ولو كانت منكرة، ولما خلصن من الولاء الطائفي الخرافي ليدخلن في بيعة حركة الإسلام، وقد كان هذا التحول الديني أبلغ آية على أثر الدين في التحرر والنهضة لمقاصد الدنيا والآخرة»..

ويختم الدكتور الترابي قوله : «فبنعمة الله وهداه رتبت الحركة الإسلامية تأسيسها التنظيمي الأخير على مشاركة الرجال والنساء في الائتمار والشورى والقيادة ثم في الدعوة والمجاهدة»[1].

***

وفي إيران الإسلامية، كانت الثورة الإسلامية تحريرًا لكل المجتمع وتحريرًا في الوقت نفسه للمرأة الإيرانية، فشاركت المرأة في الجهاد لإسقاط الشاه، وبعد الثورة كانت المرأة الإيرانية في أوج مشاركتها السياسية، فقد كانت الفتيات ضمن هؤلاء الذين اقتحموا السفارة الأمريكية في طهران في أوائل الثورة، وكانت فتاة إيرانية هي الداعية والمنظمة والمشرفة على مؤتمر الأقليات الإسلامية في العالم والمنعقد في طهران ١٩٨٤، وفي البرلمان الإيراني الأخير والذي أجريت انتخاباته في مايو ١٩٩٢ نجحت تسع سيدات في الحصول على عضوية البرلمان.

◆◆◆

(١) د. حسن الترابي – الحركة الإسلامية في السودان – القارئ العربي للإعلام والنشر – القاهرة – ١٩٩١.

التحرر المزيف للمرأة ورموزه

هذا هو التحرر الحقيقي للمرأة المسلمة، أما التحرر المزيف فهو الذي يدعو إلى الانحلال والتخلي عن ثقافتنا وهويتنا والاندماج في ثقافة الاستعمار والرضى بوجوده في بلادنا، فها هو لويس عوض مثلاً وهو المنحاز إلى الاستعمار والثقافة الاستعمارية، بل ويعتبر أن الحملة الفرنسية على مصر لم تأت من أجل الاحتلال والاستعمار ولكن من أجل تحرير مصر!

بل ويعتبر المتعاونين مع الحملة أي الخونة من أمثال يعقوب وفرط الرمان هم دعاة التحرر الوطني ورموز القومية المصرية! وهو الذي يدافع عن وجود الإنجليز في مصر ويعتبر كل من قاوم الاحتلال من أمثال الأفغاني والنديم ومصطفى كامل ومحمد فريد ما هم إلا مجموعة من المهرجين أو العملاء أو ضيقي الأفق! بل ويدعو إلى نبذ اللغة العربية واستخدام العامية وغيرها من الدعوات المشبوهة[1]، هو نفسه الذي يعتبر رموز تحرر المرأة المصرية هم هوى وشوق وغيرهما من اللائي درن مع جنود الاحتلال وأقمنا علاقات جنسية مع الفرنسيين أي أنه يعتبر المومسات والمتعاونات مع جنود الاحتلال بالسلاح وهن اللاتي ذكرناهم في فصل سابق، وخاصة هؤلاء اللاتي أعدمن بسبب اشتراكهم في ثورة القاهرة الأولى، وهذه التي أطلقت النار على بونابارت في أول أيام دخوله إلى الإسكندرية في إحدى حواري الإسكندرية[2].

(١) أحمد محمد شاكر، أباطيل وأسمار.

(٢) د. محمود مورو – صفحات من كفاح الشعب المسلم في مصر – الزهراء للإعلام العربي – القاهرة – ١٩٩٢.

يقول لويس عوض : «أما عن ١٨٠٠ فهو عام تحرير المرأة لأن هذا العام شهد بدايات حركة السفور وانطلاق نساء القاهرة لمخالطة الفرنسيين ومحاكاتهم في الزي والسلوك»[١].

وينقل لويس عوض عن الجبرتي في قوله : «أما الجواري السود فإنهن لما علمن رغبة القوم في مطلق الأنثى ذهبن إليهم أفواجًا فرادي وأزواجًا فنططن الحيطان وتسلقن إليهم من الطبقات ودلوهم على مخبأة أسيادهم وخبايا أموالهم ومتاعهم إلى غير ذلك»[٢].

وعلى الرغم أن الجبرتي هنا يصف أوضاعًا اجتماعية جزئية صاحبت الاحتلال وترتبت عليه إلا أن لويس عوض يعتبرها ثورة تحرير للمرأة، ويعلق جلال كشك على ذلك قائلاً : «ومع أن الجبرتي لم يترك فرصة لسوء الفهم هذا فإن لويس عوض يصر على أنها ظاهرة عامة نابعة عن ثورة تحريرية وليست حالة انهيار تحدث في جميع المجتمعات التي تتعرض للاحتلال والنهب والسلب والتجويع» ويضيف جلال كشك «لويس عوض مؤرخ المدرسة الاستعمارية يجعل انحطاط المرأة إلى حد التكسب بالجنس ثورة نساء وبداية تحرر المرأة»[٣].

ولنعرض مزيدًا من وقاحات لويس عوض يقول لويس عوض : «وليس هناك ما يدعو إلى الظن بأن كل من خالط الفرنسيين أو حاكاهم أو قبل وجوها من حضارتهم قد فعل ذلك عن فُجْر وافتتان بأسلوب الحكام – وهو ظاهرة اجتماعية وإنسانية – أو عن مصلحة ذاتية أو رغبة في التزلف إلى الحكام، ولا شك أن تحرير

(١) لويس عوض – تاريخ الفكر المصري الحديث – الجزء الأول.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) محمد جلال كشك – ودخلت الخيل الأزهر – دار المعارف.

المرأة على النحو العملي هذا الذي وصفه الجبرتي كان حركة اجتماعية بالمعنى المألوف وتعبيرًا عن رأي عام وفي شرائح معينة من مختلف مستويات المجتمع المصري بضرورة الانفتاح لهذه الحضارة الحديثة والقيم الاجتماعية الحديثة التي جاء بها الفرنسيون من أوروبا»[1].

وبالطبع فإن الجبرتي لم يقصد هذا الذي استنتجه لويس عوض بل كان يرصد ظاهرة يرفضها هو وكل المؤرخين المحترمين، ولكن لويس عوض يريد أن يجعل من الدعارة مع جنود الاحتلال تحررًا ويريد أن يجعل من ظاهرة جزئية منحطة ومرفوضة ظاهرة اجتماعية تريد الانفتاح على الحضارة الحديثة التي جاء بها الفرنسيون من أوروبا، وبالطبع لويس عوض يدعو إلى الأخذ بتلك الحضارة وسلوكها وقيمها بل ويقدم لنا رمزين لتحرر المرأة من أسوأ ما يكون.

أولهما: هي زينب البكرية، وثانيهما هي: هوى.

فأما زينب البكرية التي يقدمها لنا لويس عوض على أنها رائدة التحرر فهي بنت الشيخ البكري وهو أحد الخونة والعملاء الذين تعاونوا مع الاحتلال الفرنسي، وما دام متعاونًا مع الاحتلال أي خائنًا لبلاده فلا مانع لديه أن يتخلى عن عرضه وشرفه، فيقدم ابنته القاصر التي كانت تبلغ ستة عشر عامًا في ذلك الوقت إلى جنود الاحتلال للتمتع بها لينال بذلك الحظوة لدى الاحتلال، وهذا بالطبع أسوأ ما يكون الرمز والمثل.

أما هوى : فهي امرأة ساقطة تعيش مع أي صاحب سلطان سواء كان مملوكيًا أو تركيًا فرنسيًا، وتهرب من هذا إلى ذاك، أو تهرب منهم جميعًا[2].

(١) لويس عوض – مرجع سابق.

(٢) محمد جلال كشك – مرجع سابق.

قاسم أمين داعية للتحرر المزيف

أما قاسم أمين الذي يعتبره كل رواد ودعاة حركة تحرر المرأة المزيف رائدًا له، فأمره محير، فهو مؤلف كتاب «المصريون» سنة ١٨٩٤ باللغة الفرنسية، وقد أورده الدكتور محمد عمارة في الأعمال الكاملة لقاسم أمين[١]، وهو كتاب دافع فيه قاسم أمين عن الإسلام وعن المرأة المسلمة كأفضل ما يكون الدفاع وكأنه شيخ متعصب بل ومتزمت، وهو في كتابه الثاني «تحرير المرأة» يقف موقفًا وسطًا قريبًا من مدرسة الإمام محمد عبده التوفيقية، وفي كتابه الثالث «المرأة الجديدة» يدعو إلى خلع الدين تمامًا والتبرؤ من الإسلام والأخذ بكل الثقافة الغربية فيما يخص المرأة، بل يهاجم الإسلام هجومًا مريرًا.

وبعيدًا عن الخوض في أسباب هذا التغير في فكر قاسم أمين، فإن ما يعنينا هنا أن مدرسة التحرير المزيف للمرأة أخذت كتابه الثالث واعتبرته مرجعًا لتحرير المرأة بل واعتبرت قاسم أمين رائدًا لتحرير المرأة والمسألة هنا ليست قيمة فكر قاسم أمين المضطرب ولا دعوته ولكن المسألة في أصلها كما هي دائمًا مسألة أن هؤلاء الذين يرفعون رايات تحرر المرأة المزيف لا يريدون إلا القضاء على الإسلام والكيد له، وذلك بالطبع خدمة لأسيادهم ومحركيهم من الأوروبيين والأمريكيين الذين يدركون أن الإسلام هو وحده العقبة الرئيسية للسيطرة على بلادنا ونهبها وتنفيذ مخططاتهم فيها.

ومما يؤكد هذا الأمر أن قاسم أمين الداعي إلى تحرير المرأة، هو نفسه الذي يقف

(١) د. محمد عمارة – الأعمال الكاملة لقاسم أمين.

معارضًا لتحرير مصر من الإنجليز بل يهاجم كل زعماء حركة التحرر الوطني في ذلك الوقت أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد، ولأن مصطفى كامل كان يفهم الدافع وراء قاسم أمين وحقيقة دعواه فإنه تصدى بنفسه كتاب جريدة «اللواء» الناطقة بلسان الحزب الوطني في ذلك الوقت لتفنيد آراء قاسم أمين والتأكيد على المضمون الحقيقي لتحرر المرأة المسلمة.

قاسم أمين هو أحد المروجين للاستعمار، وهو أحد أعضاء حزب الأمة وهو الحزب المعروف بولائه للإنجليز وخيانته للقضية الوطنية، ولم يكن عجيبًا أن تدافع «الجريدة» وهي صحيفة حزب الأمة عن قاسم أمين وآرائه لأنها تصب في خانة خدمة الإنجليز.

«قاسم أمين محرر المرأة نفسه الذي يصف مصطفى كامل بأنه نصاب، وهو الذي يرى أن الاستعمار الإنجليزي هو الذي حررنا وأسرف في تحريرنا فقد كنا محكومين بالاستبداد، ولما احتلنا الجيش البريطاني وأصبحت مصر تحكم من دار المندوب السامي أصبحنا أحرارًا ونحب الحرية وبدأ التعليم الصحيح ينتشر بين أفراد أمتنا[1].

***

أما عن نوال السعداوي فقد كشفها وعراها زميلاتها في حركة تضامن المرأة المزعوم، وقد اعترفت نوال السعداوي بنفسها بأن الذين مولوا مؤتمر تضامن المرأة المنعقد في القاهرة سنة ١٩٨٦ في أفخم فنادقها وهو فندق النيل كانوا من الهيئات الأجنبية المشبوهة.

تقول جريدة «الأهالي» وهي جريدة قريبة الاتجاه لأمثال د. نوال السعداوي

(١) نقلاً عن جلال كشك – جهالات عصر التنوير – مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة – ١٩٩٠.

وليس من مصلحتها فضحها ومع ذلك اضطرت للاعتراف بالحقيقة فنقلت اعترافات نوال السعداوي – تقول جريدة الأهالي : «عندما سألت إحدى المشتركات عن مصادر تمويل هذا المؤتمر أجابت د. نوال السعداوي رئيس المؤتمر ورئيس جمعية تضامن المرأة العربية أن هناك بالفعل جهات أجنبية قامت بتمويل المؤتمر فقد أرسلت رسائل إلى ما يقرب من مائة جهة طلبًا لتمويل المؤتمر واستجابت لها ثلاث جهات فقط هي جمعية نوفيك الهولندية، ومكتب مؤسسة فورد كونديشن الأمريكية بالقاهرة، ومكتب اكسفوان الأجنبي بالقاهرة، وأضافت د. نوال السعداوي أن مكتب مؤسسة فورد كونديشن بالقاهرة هو الذي تحمل نفقات سفر المشاركات فقط وتحملت المكاتب الأخرى باقي النفقات، وقالت د. نوال السعداوي : إن مكتب هيئة المعونة الأمريكي في القاهرة «الأيد» سوف سيتحمل نفقات طبع كتاب باللغة العربية والإنجليزية لأهم الأبحاث التي نوقشت في لجان المؤتمر »[1].

وبالطبع كان من البديهي أن تنسحب الشخصيات النسائية والوفود النسائية التي ما زال لها بقية من احترام نفسها أو تلك التي لا تريد أن تسقط ورقة التوت عن عورتها في هذا المؤتمر المشبوه الذي افتضح أمره.

وكانت وما زالت تلك الحركات المشبوهة تستخدم قضية تحرير المرأة كقفاز للهجوم على الإسلام، وها هي إحدى السيدات تقول تلك الحقيقة بعد أن اكتشفتها من خلال هذا المؤتمر، تقول السيدة نفيسة عابد في مجلة صباح الخير : «ولست أدري لماذا يهاجم الإسلام من بعض الذين يدعون أو يدعون الدعوة إلى حرية المرأة أو

(١) جريدة الأهالي – سبتمبر ١٩٨٦ وانظر أيضًا أخبار اليوم – روز اليوسف وغيرها من الصحف والمجلات التي غطت أخبار المؤتمر .

المطالبة بحقوقها، فهذا الهجوم يحمل في طياته ما يقنعني تمامًا بعدم صدق دعواهم»[1].

ونقول لهذه السيدة: عليك الآن أن تدري أن تلك الدعوات والمؤتمرات والحركات ما صنعت أساسًا من أجل المرأة، بل من أجل الهجوم على الإسلام خدمة لأهداف الغرب الاستعماري.

وهكذا فإن الحقائق الواضحة حول حركة تحرير المرأة الحقيقي وحركة تحرر المرأة المزيف تقول إن حركة تحرر المرأة الحقيقي هي تلك التي تؤكد على مقاومة الاحتلال ورفض الاستبداد والتمسك بالهوية والثقافة الوطنية، وأن حركة تحرر المرأة المزيف ما هي إلا حركة مصنوعة وممولة من الاستعمار ويقف على رأسها المشبوهون والمشبوهات ممن تعاونوا مع الاحتلال ودعوا إلى رفض الثقافة الوطنية والاندماج في ثقافة المحتل، فهذه الحركة المزيفة ما هي إلا قناع للهجوم على الإسلام لخدمة أهداف الاستعمار باعتبار أن الإسلام هو العقبة الرئيسية أمام المخططات الاستعمارية وباعتبارها الأيديولوجية الوحيدة القادرة على تحقيق النهضة والتقدم في بلادنا، ولنتأمل في قول المبشرة أنا ميليمان: «ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسافة من إبعاد المرأة المسلمة والفتاة المسلمة عن آداب الإسلام وشرائعه».

◆◆◆

(١) مجلة صباح الخير – سبتمبر ١٩٨٦.